الفصل 2

فهم اللاعنف

مايا كارتر هالورد وجولي م. نورمان

مارس الأفراد والجماعات المقاومة غير العنيفة على مدى التاريخ كله بالمشاركة في أعمال ضد السلطات المستبدة أو الامتناع عن القيام بالأعمال، ويعود تاريخ توثيق المقاومة المدنية إلى بواكير الجمهورية الرومانية (هاوز 2014) (Howes 2014). إلا أنَّنا ركزنا في هذا الفصل على مناقشة التطور التاريخي للاعنف بوصفه حقلًا للدراسة وشكلًا من أشكال المقاومة منذ بداية القرن العشرين حتى يومنا هذا، ولأنَّ الكثير من الممارسين المعاصرين للمقاومة اللاعنيفة استمدوا معارفهم من فلسفات ونصوص قديمة، سواء دينية أو علمانية، فقد انصبَّ اهتمامنا على كيفية استفادة النظريات والتطبيقات الحديثة معارفها من بعضها بعضًا خلال القرن الماضي، ممَّا قاد إلى ظهور اللاعنف على أنَّه مجال مميز للدراسة.

تاريخ اللاعنف

استوحى الكثير من اهتمام القرن العشرين باللاعنف من حملة غاندي لمقاومة الحكم البريطاني للهند وبناء مجتمع غير عنيف، وقد تأثر غاندي بكُتَّاب علمانيين مثل هنري دافيد ثورو (في العصيان المدني "On Civil Disobedience") وليو تولستوي (ملاحظات للجنود "Notes for Soldiers") (كارتر 2009؛ كورترايت 2006، ص. 14) (Carter 2009; Cortwright 2006, p. 14)، إضافة إلى دراسته الكفاح الهنغاري غير العنيف في خمسينيَّات وستينيَّات القرن التاسع عشر، والثورة الروسية في العام 1905 (بارتكوفسكي 2013 أ، ص.347) (Bartkowski 2013a, p. 347)، وبعد دراسته في لندن والمشاركة في المقاومة اللاعنيفة في جنوب أفريقيا، عاد غاندي إلى الهند في العام 1915، ثم أصبح زعيمًا

لحزب المؤتمر الوطني الهندي في العام 1921، فصمَّم طريقته في المقاومة اللاعنيفة المسماة بِـ (ساتياجراها) satyagraha، وترجمتها الرائجة هي (القوة الحقيقية)[1]، ودعا أتباعه إلى ما يسمى بِـ (أهمسا)، وهي صيغة من الحب العالمي العميق (كورترايت 2006، ص.16) (Cortwright 2006, p. 16).

نبع لا عنف غاندي من إيمانه بأهمية الوسيلة، التي تجعل من الضروري ممارسة اللاعنف، ولأنَّه آمن بأنَّ المقاومة المدنية شكل من أشكال الحرب غير العنيفة، فقد تمسك بضرورة سعي الناشطين إلى البحث عن الحقيقة، وأن يتذكروا أنَّ «الهدف ليس هزيمة الخصم، بل تحقيق فهم وتسوية سياسية» (المرجع السابق،ص 19) (ibid., p. 19).

وقد شجع غاندي الجماهير التي حشدها على التوقف عن استخدام السلع البريطانية، ودعا إلى العصيان المدني، مُدرِكًا أنَّ اعتقال البريطانيين للآلاف من المحتجين كان في الواقع يفرض تحديًا على النظام، ويزيد من الدعاية للحركة، ففي مسيرة الملح الشهيرة في العام 1930، حشد غاندي عشرات الآلاف من الهنود في مسيرة إلى البحر اعتراضًا على الاحتكار والضريبة البريطانية (رغم تعرضه للانتقادات بسبب دعوته إلى وقف الاحتجاجات مبكرًا مقابل وعود هزيلة من البريطانيين). (المرجع السابق، ص 25، روبرتس 2009، ص7، ويبر 2000) (ibid., p. 25; Roberts 2009, p. 7; Weber 2000).

بدأت الدراسة العلمية للاعنف خلال المدة نفسها مع حملات غاندي المبكرة، وتزامنت مع مظاهرات واحتجاجات وإضرابات الحركة العمالية الأمريكية. يقدم كتاب كلارنس كاس (الإكراه بلا عنف: دراسة في طرق الضغط الاجتماعي) (1923) أحد التحليلات المنهجية الأولى للديناميكيات الاجتماعية للمقاومة المدنية (كارتر 2009) (Carter 2009)، في حين جلب كتاب ريتشارد كريج (قوة اللاعنف) (1934) المزيد من الانتباه العلمي إلى اللاعنف على طريقة غاندي. وفي الحقل الديني، أثرت آراء رينولد نيبور في اللاعنف والسياسة لاحقًا في مارتن لوثر كينج الابن، وكان واحدًا من أوائل رجال الدين الذين تنبهوا بشكل جدي لأعمال غاندي.

وبحلول منتصف القرن العشرين، ساعدت حركة الحقوق المدنية الأمريكية على زيادة انتشار الوعي بقوة أعمال اللاعنف، وبيَّنت أيضًا بعض الحوارات الرئيسة المتعلقة بفاعليتها في إحداث تغيير اجتماعي، وحسب قول كورترايت (2006، ص. 55) Cortwright (2006, p. 55)، كان مارتن لوثر كينج الابن Martin Luther King, Jr، «الشخص الذي أعاد أفكار غاندي وطرقه إلى الحياة، وطوَّر أعمال اللاعنف كأداة للتغيير السياسي أكثر من أي شخص آخر»[2]، في الوقت نفسه، كان تنظيم القواعد الشعبية من قبل الجماعات الطلابية، والكنائس، والجمعيات المدنية انعكاسًا لأهمية جهود الحشد المحلية في إدامة حركات اللاعنف. وقد عكست حركة الحقوق المدنية، من مقاطعة الحافلات في مدينة مونتجمري في العام 1955 إلى مسيرة واشنطن في 1963، ومن (جولات الحرية) إلى مظاهرات بيرمنجهام النهج الأخلاقي- الديني والإستراتيجي للاعنف، وعملت مصدرًا للإلهام ونموذجًا لحملات الحقوق الأخرى، وتبلورت موجة جديدة من الدراسات التي تدور حول المقاومة المدنية واللاعنف في سياقات مبدئية وبرغماتية. ورغم أنَّ بعض الروايات الشعبية الأولى عن بداية حركة الحقوق المدنية تشير إلى أنَّها بدأت بشكل (عفوي) حين رفضت روزا باركس التخلي عن مقعدها في الحافلة، فقد كان فعل باركس محسوبًا بشكل إستراتيجي ونتيجة الكثير من التخطيط من جانب قادة الحقوق المدنية. وعلى العكس من ذلك، فقد تميَّزت المظاهرات واسعة النطاق التي جاءت بالانتفاضات العربية في العام 2011، بأنَّها كانت عملًا عفويًّا غير عنيف.[3]

في ستينيَّات القرن العشرين سار سيزر شافيز على خطى غاندي ومارتن لوثر في صراعه ضد الأوضاع التي تواجه عمال الحقول المكسيكيين والفلبينيين في الولايات المتحدة (كورترايت 2006) (Cortwright 2006)، والذي سنناقشه بتوسع أكبر في الفصل التاسع.

خارج الولايات المتحدة، اتبعت الحركات الشعبية في غانا، ومالاوي، وزامبيا بشكل أساسي طرق اللاعنف في كفاحها (كارتر 2009؛ مومبا وجادسدن 2013) (Carter 2009; Momba and Gadsden 2013)، واعتمد حزب المؤتمر الأفريقي في جنوب أفريقيا بداية على

أساليب اللاعنف في كفاحه ضد نظام الفصل العنصري، رغم اتباع الحركة أيضًا بعض أعمال العنف (شوك 2005) (Schock 2005)، وهو ما سنناقشه في الفصل الخامس.

استخدم مواطنو مجموعة من دول أمريكا اللاتينية (مثل غواتيمالا والسلفادور) المقاومة غير العنيفة لإسقاط الأساليب خلال النصف الأول من القرن العشرين (باركمان 1999) (Parkman 1990). وفي مناطق أخرى، شارك مواطنو تشيكوسلوفاكيا في المقاومة غير العنيفة ضد غزو الاتحاد السوفييتي، وكذلك الحال في دول حلف وارسو خلال ربيع براغ من العام 1968، في حين أجبر إضراب في بولندا عام 1970 الحكومة على إجراء تغيير في سياستها الرامية إلى رفع أسعار المواد الغذائية، كما كان مصدر إلهام لإضرابات واسعة في ثمانينيَّات القرن العشرين (Carter 2009, pp. 30–1) وهو ما سنناقشه في الفصل الثامن.

أوحى استخدام طرق اللاعنف في ستينيَّات القرن الماضي بمزيد من الاهتمام بتحليل نظرية المقاومة المدنية، ومع ثلاثية جين شارب المبدعة، (سياسات أعمال اللاعنف) (1973) The Politics of Nonviolent Action (1973)، التي بقيت مصدرًا رئيسًا للناشطين والباحثين في مجال اللاعنف، ومع إدراكه أنَّ السلطة أساسية للتحليل والقيام بمقاومة غير عنيفة، فقد اعتمد شارب في تحليلاته على نظرية موافقة السلطة[4]، التي تفترض بأنَّ السلطة مبعثرة (وتُوصَف أحيانًا بأنَّها تعددية) أكثر ممَّا هي موحدة وموزعة على المجتمع كله، وهي تفترض أنَّ الحكام يعتمدون على المحكومين في سلطتهم، وأنَّه حين يسحب المحكومون موافقتهم (سواء موافقتهم الإيجابية أو قبولهم السلبي بشرعية النظام من خلال اتباع القوانين والامتثال للتوقعات)، فإنَّ النظام يفقد سلطته وقدرته على الحكم، ولاسيَّما حين يسحب الجيش والشرطة وموظفو الدولة أيضًا ولاءَهم (شارب 1973، أتاك 2006) (Sharp 1973; Atack 2006). لقد أعاد شارب تأطير مفهوم ريتشارد كريج عن (الجيو جيتسو الأخلاقي)، وحوَّله إلى (جيو جيتسو سياسي)، مُبيِّنًا كيف يمكن للقمع أن يعطي نتائج عكسية حين تستخدم حركات اللاعنف حملات النظام لفرض النظام لصالحها ولحشد المزيد من التأييد. (كارتر 2009، ص 31) (Carter 2009, p. 31).

يدرس شارب – بالتركيز على إستراتيجية عمل اللاعنف– سياسات أعمال اللاعنف وطرقها وأساليبها، ويصف ما يَقرُب من (200) طريقة يقوم بتصنيفها في فئات ثلاثة؛ الاحتجاجات الرمزية والإقناع، وعدم التعاون، والتدخل غير العنيف (شارب 1973) (Sharp 1973)، وتتضمن الفئة الأولى الأفعال الرمزية جدًّا، مثل الخطابات العامة، والالتماسات، والمنشورات، والاعتصامات، وعرض الرموز، والصلوات، والوقفات الاحتجاجية، والمسيرات، والمناقشات العامة، والانسحابات، وجميع الأساليب المستخدمة على نطاق واسع من قبل الحركات الاجتماعية. أمَّا الفئة الثانية (عدم التعاون) فقد تكون مشروعة أو غير مشروعة، وتتطلب استقطاب التعاون المدروس من الأنشطة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية العادية، التي تساهم في هياكل العنف الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، ومن تلك الأساليب المشاركة في نطاق واسع في المقاطعات والإضرابات والاعتصامات المنزلية، والمشاركة في إضراب الإيجار ورفض دفع الرسوم ورفض استقبال مسؤولين معينين وعدم إطاعة قوانين تُعَدُّ (غير شرعية) في المجالات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية (شارب 2005، ص. 61) (Sharp 2005, p. 61). وبالنسبة للفئة الثالثة (التدخل غير العنيف)، فهو أقلُّ تخريبًا ويمكن استخدامه بشكل هجومي أو دفاعي، وفي كلتا الحالتين فمن الصعب مواصلة تلك الأساليب، لأنَّها على الأغلب ستؤدي إلى ردِّ فعل أقسى من السلطات، وتتضمن أساليب التدخل الصيام والاعتصامات والغارات غير العنيفة والمداخلة غير العنيفة، كأن يحصُرَ مُحتَجٌّ نفسه بين شخص وهدفه، ومسرح العصابات (guerrilla theater)، وإنشاء مؤسسات اجتماعية بديلة، وعدم إطاعة قوانين تُعَدُّ (مُحايِدة)، وتحدي الحصار، واحتلال الأراضي غير العنيف (Sharp 2005, pp. 62–4).

فكرة شارب عن السلطة التعددية وجدت صدى لها في الحركات غير العنيفة في ثمانينيَّات وتسعينيَّات القرن العشرين، وقد أطلق عليها المعلقون عبارة (ثورات سلطة الشعب)[5]؛ بسبب الطبيعة الشعبية الموافقة على تلك الانتفاضات، ومن ذلك المقاومة الشعبية في الفلبين، التي انضم إليها رجال الدين والجيش، فقد ساعدت في الإطاحة بنظام ماركوس في العام 1986، وفي العام 1987 استخدم الفلسطينيون الطرق غير العنيفة خلال

الانتفاضة الأولى؛ في محاولة للتخلص من الاحتلال الإسرائيلي، ويُضاف إلى ذلك إضرابات التضامن في بولندا، و(الثورة القرمزية) في تشيكوسلوفاكيا، وسقوط جدار برلين في ألمانيا الشرقية، التي كانت نتيجة مقاومةٍ عمادُها المواطنون (كارتر 2009؛ نبستاد 2011) (Carter 2009; Nepstad 2011b). وفي التشيلي أجبر تنظيم اللاعنف الذي قامت به نقابات العمال والجامعات والكنائس، الديكتاتور العسكري الجنرال أوغوستو بينوشيت على التنحي عن الرئاسة في العام 1988 (كورتز 2009) (Kurtz 2009).

الجدول 1.2 أمثلة وأنواع أعمال اللاعنف والسياسات التقليدية

أمثلة على العمل السلمي	نمط نشاط اللاعنف (SharSSharp3SharpSharp,1973 p 1973)
بيان جمعية الدراسات الأمريكية يضعها في صف المقاطعة الثقافية.	(بيان عام موقع)
للمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية نتيجة استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.	(اعتراض وإقناع)
وضع حيوانات مُحنَّطة ودُمى أخرى مع علامات تمثيليات ساخرة ومازحة تحتجُّ على الزعماء الحكوميين في روسيا	(اعتراض وإقناع)
معرض أحذية العين المفتوحة الذي أقامته (لجنة أمريكا لخدمة جنازات رمزية الأصدقاء)؛ إحياءً لذكرى قتلى الولايات المتحدة في العراق وتوثيقهم بصريًّا.	(اعتراض وإقناع)
مقاطعة المستهلك الأمريكي للعنب بسبب المعاملة السيئة مقاطعة المستهلك التي تمارسها شركات العنب في كاليفورنيا تجاه العمال المهاجرين.	(عدم التعاون اقتصاديًّا)
إضراب موظفي الكهرباء الأعضاء في الاتحاد الوطني النيجيري إضراب صناعي بسبب الاعتداء الصارخ على الحقوق الإنسانية والنقابية في قطاع الطاقة.	(عدم التعاون اقتصاديًّا)
قاطع الحزب الاشتراكي في ألبانيا الانتخابات في العام 1996 مقاطعة الانتخابات بسبب مزاعم عن تزوير الانتخابات؛ أُجريت انتخابات جديدة في وقت لاحق تحت إشراف دولي.	(عدم التعاون سياسيًّا)

أمثلة على العمل السلمي	نمط نشاط اللاعنف (SharSSharp3SharpSharp,1973 p 1973)
اعتصام فرق من الطلاب السود والبيض أمام مناضد تناول الغداء في جميع الولايات الأمريكية الجنوبية خلال حركة الحقوق المدنية؛ تحديًّا للسياسات التمييزية.	(تدخل بدني غير عنيف)
تنظيم عمال لا يمتلكون الأراضي في البرازيل ضمن حركة عمّال بلا أرض لاحتلال مساحات من الأرض تُرِكَت بورًا في مواجهة عدم مساواة حادة اجتماعية-اقتصادية.	(تدخل اقتصادي غير عنيف)
حركة غزة الحرة، وأسطول الحرية يُبحِرُ إلى قطاع غزة بسفن تحدي الحصار وهي مُحمَّلة بمساعدات إنسانية في تحدٍّ واضح للاحتلال الإسرائيلي.	(تدخل غير عنيف)

قواعد البيانات في الميدان

كما هو الحال في جميع مجالات البحث، هناك عدد من البيانات بين دارسي (وممارسي) اللاعنف، ويبدو أنَّ قواعد البيانات تلك قد تضخمت أكثر بسبب ظهور اللاعنف على أنَّه مجال للدراسة مؤخرًا، إضافة إلى طبيعة تداخل الاختصاصات في هذا الحقل، الذي يتضمن جوانبَ من علم الاجتماع (ولاسيَّما دراسة الحركات الاجتماعية)، والعلوم السياسية، وعلم النفس، وعلم الإنسان.

اللاعنف (المبدئي) مقابل (البرغماتي)

أحد مجالات النقاش الرئيسة في دراسة اللاعنف هي كيف يتعرَّف الدارسون إلى توجه الفعاليات نحو (المبدأ) أو (البرغماتية)، ورغم أنَّ دوافع هؤلاء لا تكون مبدئية بالخالص أو برغماتية بالخالص، فقد مالت دراسات هذين النهجين الخاصين بأعمال اللاعنف إلى احتساب أنَّهما فئتين منفصلين، ومثال ذلك قول شوك (2005، ص. xvii) (2005, p. xvii) بأنَّه: «يمكن التمييز بين أعمال اللاعنف بوصفه طريقة للنضال وأعمال اللاعنف بوصفه

نمطًا للعيش»، ويشير ستيم (1968، ص. 24) (1968, p. 24) إلى أنَّ النهجين «مختلفين في دوافعهما وافتراضاتهما ومضامينهما، ونتيجة لذلك فهما متنافران بطريقة ما»، رغم أنَّ كلا النهجين (متشابهين في التنصُّل من العنف، وفي اختيارهما تقنيات العمل، وفي قدرتهما على إلهام الاستشهاد، وفي أهدافهما المختارة للعمل، وفي خطابهما).

يستخدم من يتَّبعون نهجًا برغماتيًّا طرقًا غير عنيفة لأغراض إستراتيجية، ويؤكد روبرتس (2009، ص. 3) Roberts (2009, p. 3) أنَّ اختيار طريق اللاعنف غالبًا ما (يتعلق بالبيئة أكثر من أيِّ مبدأ أخلاقي مطلق، فقد تنبع [الطرق] من تقاليد المجتمع في العمل السياسي، أو من تجربته في الحرب والعنف، أو من اعتبارات قانونية، أو من الرغبة في فضح عنف الخصم على أنَّه غير مسوَّغ، أو من حسابات بأنَّ المقاومة المدنية أقدر على تحقيق النجاح من الوسائل العنيفة). بهذه الطريقة يكون اللاعنف إستراتيجية أكثر ممَّا هو نمط حياة أو مُعتقَد ديني، فيُبيِّن جالتونج (1965، ص. 230) (Galtung (1965, p. 230 – على سبيل المثال– أنَّ اللاعنف هو (نمط عمل) أكثر ممَّا هو طريقة تفكير، ويجب أن يقتصر على (أنماط السلوك التي يمكن للآخرين ملاحظتها)، ومثله يُميِّز شارب تقنيات اللاعنف عن أيِّ نظام معتقدات قائم، مُشيرًا إلى أنَّ العمل والإستراتيجية هما ما يجعلان الحركة غير عنيفة، وليس معتقدات الأشخاص المشاركين فيها أو قيمهم، (ويبر 2003، ص. 255) (Weber 2003, p. 255). ولكنَّ شوك (2003, p. 709) Schock يُعارض ذلك قائلًا: «رغم أنَّ بعض كبار مؤيدي أعمال اللاعنف قد التزموا أخلاقيًّا باللاعنف، فإنَّ اللاعنف بحدِّ ذاته لا يطلب من المؤيدين أو الناشطين أن يلتزموا أخلاقيًّا باللاعنف، أو يعتنقوا أيَّ نوع من المعتقدات الدينية أو الأيديولوجية أو الغيبية».

ولكن يميل الذين يتخذون نهجًا مبدئيًّا للاعنف إلى رؤية الأمر على أنَّه «ليس أكثر من طريقة للعمل الاجتماعي، وأنَّه فلسفة حياة، وطريقة تختلف جذريًّا في الوجود والعمل» (كورترايت 2006، ص. 2) (Cortwright 2006, p. 2)، ويؤكد أوبنهايمر (1965، الصفحات 124–125) (Oppenheimer (1965, pp. 124–5 – على سبيل المثال– أنَّ اللاعنف لا يشتمل

على نظرة واحدة للحياة وحسب، بل على اتصال وفهم أيضًا، واستعداد لتحمل المعاناة حين ينسحب المرء من نظام قسري، ويحترم كل فرد، ويُعبِّر عن حبه وتفهُّمه. فالذين يؤكدون أنَّ «اللاعنف هو فلسفة شمولية أكثر ممَّا هو فلسفة ثنوية (dualistic)... يرون أنَّ الوسائل مهمة بقدر الغايات، ويجادلون بأنَّ العنف يعني التجرُّد من الإنسانية، وبثَّ خلاف لا يمكن حلُّه من التنافر بين الوسائل والغايات» (براناجان 2003، ص. 51) (Branagan 2003, p. 51).

يقول بعض مؤيدي اللاعنف المبدئي بأنَّه: «طالما بقي اللاعنف مُعتنَـقًا على أسس برغماتية، وليس على الحقيقة أو الأخلاق، بل تحقيق النجاح والسلطة... وجعل من ذلك معيار فعاليته، فإنَّه يُعِدُّ نفسه لهزيمة ذاتية» (Bharadwaj 1998, p. 79). إلا أنَّ الكثير من الدارسين لاحظوا أنَّ معظم حملات المقاومة غير العنيفة المعاصرة قد أُديرت إستراتيجيًّا بطريقة برغماتية، وأنَّ «الادعاء بأنَّ الإيمان في اللاعنف بشكل عام من الأسس الضرورية للمقاومة المدنية، قد تحول في بعض الأحيان إلى النتيجة الضيقة القائلة بأنَّ السبب في أيِّ إخفاق يعود إلى عدم الالتزام بالمبادئ وليس لأسباب أخرى» (Roberts 2009, p. 8).

الواقع أنَّ كثيرًا من مؤيدي اللاعنف – ومنهم غاندي ولوثر كينج– قد استخدموا كلا من الاستراتيجية والمبدأ في تبنِّي اللاعنف (2006) (Raab 2006)، ويجادل ساثا– أناند (2002) Satha-Anand (2002) بأنَّ ما يدعوه بها رادواج (1998، ص 79) Bharadwaj (1998, p. 79) خلافات لا يمكن حلها بين اللاعنف المبدئي والبرغماتي، هي في الواقع متضاربة جدًّا. ويؤكد ساثا– أناند (2002، ص 9) Satha-Anand (2002, p. 9) أنَّه «بسبب أنَّ الواجبات الأخلاقية لا تكون حاضرة بالنسبة للاستراتيجيين البرغماتيين، فإنَّ الواجبات النظرية، البرغماتية تفرض على هؤلاء الالتزام باللاعنف أو المخاطرة بأن يصبحوا مجرد استراتيجيين برغماتيين آخرين وليس مؤيدين للاعنف». وعلى الرغم من أنَّ النهج البرغماتي للاعنف قد يؤكد أهمية الاستراتيجية والفعالية أكثر من القيم والمبادئ، فإن من يُنظَر إليهم على أنَّهم ناشطون أصحاب مبادئ يمارسون اللاعنف، غالبًا ما تتم مساواتهم خطأ بالسلميين أو المتدينين، بينما يرى العديد منهم أنَّ نشاطهم اللاعنفي ينبع من توجه قيمي معين أو إيمان

بأنَّ التغيير الاجتماعي سيكون أكثر فاعلية وديمومة إذا تناغمت الوسائل مع الغايات (Coy 2013, p. 258)، ومثال ذلك قول سميث Smith (1976, p. 120): «إنَّ استخدام وسائل أخلاقية قد يكون له تأثيرات مُعدِية قد يتمخَّض عنها جوائز أعظم، وقد يكون لها تغييرات معرفية أكيدة ذات طبيعة تقلل من عدم الانسجام».

والواقع، أنَّه في حين قد يبدو التمييز بين النهجين البرغماتي والمبدئي مفيدًا من الناحية التحليلية، فإنَّ تجربة وضع خطوط تفصل بين (المبدئي) و(البرغماتي) لن تكون ناجحةً دائمًا. وقد فرزت التقاليد الدينية مسوِّغات لغوية وأخلاقية للاعنف، وحسب كورترايت Cortwright (2006, p. 13)، فإنَّ اللاعنف عقيدة أساسية في جميع الديانات الكبرى؛ البوذية، والطاوية، والهندوسية، والإسلام، واليهودية، والمسيحية، وتكمل الدعوة إلى بناء السلام والعدالة الاجتماعية[6]. وكان الزعماء الدينيون ذوي رؤية إستراتيجية في استخدامهم للمجال الديني الذي بقي في أحيان كثيرة متاحًا لتنظيم الاحتجاجات حين تغلق الأنظمة السلطوية المجالات العامة الأخرى، كما حدث في ألمانيا الشرقية في ظل الحكم الشيوعي وفي كينيا في ظل دانيال أرب موي (نبستاد 2011 ب). يقول زونس وكيرتس (1999، ص. 304) Zunes and Kurtz (1999, p. 304) في ذلك:

> في حين أنَّ أكثر حركات اللاعنف تشدُّدًا لا تتبع بالضرورة أخلاقيات غاندي، التي تفترض ضمنًا تغيير الخصم من خلال الدعوة الأخلاقية، فقد يشتمل اللاعنف أيضًا على مكون قهري، وفي العديد من الحالات يكون محور الحركة مجموعة من الناس يعملون حسب المبادئ الأخلاقية أو الدينية، يبدؤون النضال أو يديمونه وسط حشد جماهيري يشمل بالضرورة أناسًا يستخدمون اللاعنف لكفاءته أكثر ممَّا هو لأخلاقياته.

لاحظ ديمنج (1971، ص 207) Deming (1971, p. 207) أنَّ قوة اللاعنف تنبع من خلال الجمع بين (ضغطين)؛ ضغط تحدينا لتلك الجهة، وضغط احترامنا لحياتها، وما يحدث أنَّه عند الجمع بين هذين الضغطين فإنَّ كل واحد منهما يكون مؤثرًا بمفرده. وبعبارة أخرى، فإنَّ الاعتراف الأخلاقي بقيمة حياة الخصم تعزز الإ ستراتيجية البرغماتية بعدم التعاون.

الإكراه مقابل التحوُّل Coercion vs. conversion

ثمَّة اختلاف في الرأي في دراسة أعمال اللاعنف تتناول مكان الإكراه في المقاومة اللاعنيفة، ففي حين يؤكد بعضهم أنَّ اللاعنف هو «فلسفة معقدة محددة المعالم للتغيير الاجتماعي تؤكد التحوُّل وليس على الإكراه أو المواجهة» (Branagan 2003, p. 51)، يؤكد آخرون أنَّ الخلاف يكمن في المقاومة المدنية، مشيرين إلى أنَّه «ليس كل ما هو غير عنيف يُعَدُّ من أعمال اللاعنف، فأعمال اللاعنف تشير إلى نوع محدد من الأعمال التي تشتمل على مخاطرة وتستدعي ضغطًا لا عُنفيًّا أو إكراهًا لا عُنفيًّا في تفاعل مثير للنزاع بين جماعات متعارضة» (Schock 2005, p. 7)، وثمَّة آخرون يقعون في الوسط بين الاتجاهين، مُبيِّنين أنَّه «غالبًا ما تكون هناك حاجة لأن يكون المرء معارضًا، ولذلك فإنَّ الناشطين عادة يوازنون ذلك بخلق ممارسات إيجابية أو مؤسسات موازية» (باورز وفوجيل 1997، ص 434؛ براناجان 2003) (Powers & Vogele 1997, p. 434; Branagan 2003).

وفي دراسته لحركة الحقوق المدنية الأمريكية، يقول ويرمارك (1974، ص 128) Wirmark (1974, p. 128): «إنَّه على الرغم من أنَّ اللاعنف يسعى في بعض الأحيان للتغيير من خلال آلية التحول، فإنَّه غالبًا ما يشتمل على آلية إكراه، وهذا يميزه عمَّا يَعُدُّه عالم السلام والاقتصاد -كينيث بولدنج- سلوكًا [غير عنيف]» (آش 2009، ص 371) (Ash 2009, p. 371). وتشير ديمنج Deming (1971, pp. 211–12) إلى أنَّه: «في حين أنَّ أعمال اللاعنف قوية، بعكس العنف الذي تقول أنَّه يصيب الناس [بالدوار]، فإنَّه يتعين على اللاعنف أن يصل إلى عقول (وليس قلوب) المعارضين؛ لمنع الأعمال اللاعقلانية والانفعالية التي قد تحدث نتيجة الخوف. وعلى الرغم من أنَّ بعض أساليب الإكراه في أعمال اللاعنف قد تتسبب بالأذى، فإن الإضرابات والمقاطعة – على سبيل المثال– قد تتسبب في ضرر اقتصادي[7]، والهدف من مثل هذه الأساليب هو تجنب إلحاق أذى بدني مباشر».

يؤكد معظم العلماء والناشطين ضرورة القيام بتخطيط دقيق؛ لتحديد أهداف واضحة وتحليل أنظمة علاقات القوة (كوي 2013؛ ساثا- أناند 2002) (Coy 2013; Satha-

(Anand 2002، ويُبرز معظمهم أيضًا ضرورة الانضباط اللاعنفي والمحافظة على وحدة الحركة؛ بوصفها عوامل حاسمة للتغيير، مبينين أنَّه حتى أعمال اللاعنف الصغيرة قد لا تغير مغزى الحركة وحسب بل تؤثر أيضًا في فرص النجاح (نبستاد 2011 ب) (Nepstad 2011b). ومع ذلك، يرى بعض الناس أنَّ اللاعنف هو مجرد «واحد من عدة وسائل للعمل، تحاول استخدام القوة بفاعلية في الصراع من أجل التغلب على خصم» (مكارثي وكروجلر 1993، ص. 4) (McCarthy and Kruegler 1993, p. 4).

اللاعنف مقابل العنف Nonviolence vs. violence

يدور بعض النقاش بين العلماء والممارسين حول كيفية تعريف حركات اللاعنف، بالنظر إلى النمط التاريخي من العلاقات ما بين النزاعات المسلحة وغير المسلحة في حركات التحرر، والمثال على ذلك بين (الشين فين) والجيش الجمهوري الأيرلندي، بين ناشطي اللاعنف والجناح المسلح لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب أفريقيا، أو بين اللاعنف الذي اتبعته الربطة من أجل كوسوفو ديموقراطية وجيش تحرير كوسوفو (آش 2009، ص. 374؛ شوك 2005، ص. 159) (Ash 2009, p. 374; Schock 2005, p. 159). كما حدث نقاش مماثل حول ما الذي يشكل عنفًا: هل يعد تخريب ممتلكات الهياكل القمعية من أعمال اللاعنف؟ هل العنف (غير المسلح) المحدود أو العنف في حالة الدفاع عن النفس مسموح به؟[8]

لاحظ كورترايت (2006, p. 27) Cortwright أنَّ «العمل يكون لاعنفيًّا إذا تجنب إحداث أذى بدني، ولم يحرم الناس من الاحتياجات الضرورية، أوخفض معايير المعيشة إلى ما دون الكفاف». ومع ذلك يمكن للخط الفاصل بين (العنف) و(اللاعنف) أن يبقى دون تحديد، كما يحدث حين يكون لحركة ما عدة أجنحة، وحين تتعرض شخصية قيادية للنقل، أو حين تُشَنُّ حملات العنف واللاعنف في الوقت نفسه، يزداد تعقيد العلاقة أكثر بتشكيلة تعريفات (العنف)، حيث يجادل لوسوردو (2010، ص. 85) Losurdo (2010, p. 85) بأنَّ الأزمات

التاريخية الكبرى تجبرنا على الاختيار ليس بين العنف واللاعنف، بل بين نوعين مختلفين من العنف. ولا تُستثنى حركات اللاعنف من هذه القاعدة. ونقد لوسوردو الذي يتعارض مع الاختيار (الخادع) ما بين عنف الالتحاق بجيش الاتحاد أو عنف الرِّق، أثار أسئلة مماثلة لتلك التي أثارها رجل الدين رينهولد نيبور، الذي آمن بأنَّ اللاعنف وحده لن يكون كافيًا لتحقيق العدالة الاقتصادية (تشيرنس، بلا تاريخ). على أيِّ حال، يتجاهل العالمان حقيقة أنَّ أعمال اللاعنف تسعى غالبًا لتحدي أشكال العنف المباشر والهيكلي، فخلال الحرب الأهلية الأمريكية - على سبيل المثال- انخرط العديد من الأفراد المشاركين في خط قطار الأنفاق في أعمال اللاعنف؛ سواء ضد الرق أو ضد الخدمة العسكرية. يقول شوك (Schock 2005, p. 6): «بدلًا من النظر إلى الأمر على أنَّه نصف انقسام جامد من العنف- اللاعنف، فإنَّه من الممكن فهم أعمال اللاعنف بطريقة أفضل؛ بوصفها مجموعة طرق ذات سمات خاصة تختلف عن المقاومة العنيفة والسياسات المؤسسية».

قليلة هي الصراعات اللاعنيفة الخالية تمامًا من العنف؛ لأنَّ هناك احتمالًا لحدوث أعمال شغب، وحرق أو قتل للمتعاونين، ممَّا يجعل مفهوم التواصل (continuum concept) مفيدًا للمساعدة على تصنيف الحركات، فنيلسون مانديلا - مثلًا - رفض شجب الكفاح المسلح يوم كان سجينًا في جنوب أفريقيا، وغاندي ألمح إلى أنَّه من الأفضل استخدام العنف بدلًا من ارتداء عباءة اللاعنف لتغطية العجز (شوك 2005؛ آش 2009؛ زونس وكورتز 1999؛ ميرتون 1965، ص 37) (Schock 2005; Ash 2009; Zunes and Kurtz 1999; Merton 1965, p. 37).

بعض الحركات التي تصنف بشكل عام على أنَّها (غير عنيفة) نجحت جزئيًّا بفضل مقاومة مواطنيها المسلحة، فالمقاومة المسلحة من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي خارج جنوب أفريقيا - على سبيل المثال- «مثلت إرادة مقاومة الفصل العنصري» (Carter 2009, p. 36)، «رغم أنَّ الكفاح المناهض للفصل العنصري ما كان له أن ينجح دون حملات ذات قاعدة عريضة من أعمال اللاعنف» (شوك 2005، ص. 159) (Schock 2005, p. 159). إلا

أنَّ وجود جناح متطرف أو مسلح لا يكون أمرًا إيجابيًّا دائمًا، وفي حين أنَّ وجود (تأثير لجناح متطرف) قد يعزز نفوذ (المعتدلين)؛ بسبب خوف النظام من مزيد من الجماعات المتطرفة أو العنف تضغط أيضًا من أجل التغيير، فإنَّه يمكن أن يكون للأجنحة المتطرفة أيضًا تأثير حاسم بتقويض مصداقية الحركة، أو تهديد قدرتها على جذب مزيد من الدعم (المرجع السابق، ص 157) (ibid., p. 157).

تنبع إحدى المسائل الرئيسة التي تُعنى بالعلاقة بين العنف واللاعنف من تأثير الاستعمار والإمبريالية، والمثال على ذلك ما صوَّره فرانز فانون 1963 في كتابه (المعذبون في الأرض The Wretched of the Earth) من أنَّ اللاعنف مذهب خدم المصالح الإمبريالية، وعَدَّ الكفاح المسلح أمرًا مشروعًا في وجه الاستعمار (Coy 2013). كما أكد ماو تسي تونغ أنَّ الثورة هي عصيان، وعمل من أعمال العنف تقوم بها طبقة لإسقاط طبقة أخرى... وثمَّة حدود معينة يجب تجاوزها من أجل تصويب خطأ ما، وبخلاف ذلك لا يمكن تصويب الخطأ، (استشهدت به نبستاد 2011 ب، ص. xviii). وهناك مسألة أخرى تدعو الشعوب المضطهدة إلى الاستفادة من اللاعنف؛ حيث إنَّها غالبًا ما تتجاهل التفاوت الشديد في القوة، والعنف الهيكلي، و/ أو السياسات الاستعمارية التي تستهدف بشكل منهجي الشعوب المعنية (لوسوردو 2010؛ جيلدرلوس 2007) (Losurdo 2010; Gelderloos 2007). وتؤكد مثل هذه الحجج أنَّه – في مثل تلك الحالات– فإنَّ المقاومة اللاعنيفة يمكن أن تتستَّر على الأنظمة الأبوية وسلطة الدولة أو تشجعها.

ويجادل بعضهم بأنَّ اللاعنف قد تحول من أداة في النضال ضد الإمبريالية إلى قوة بيد الاستعمار؛ حيث إنَّ الولايات المتحدة ودولًا أخرى تُشوِّه سمعة أعدائها والمناهضين لها من خلال وصفهم بأنَّهم (عنيفون)، وتدعوهم لأن يكونوا (غير عنيفين)، بينما يقومون بتعريف ماهية أعمال (اللاعنف) (لوسوردو 2010، ص. 85) (Losurdo 2010, p. 85) بأنَّها (الدعوة إلى اللاعنف)، في مثل هذه الظروف قد «يُساء تفسيرها على أنَّها إنكار حق الشعب في اختيار وسائله في الكفاح» (بارتكوفسكي 2013 ب، ص. 10) (Bartkowski 2013b, p. 10)،

أو أن يُنظَر إليها على أنَّها - حسب وصف مايكل والتزر Michael Walzer- (صيغة مُقنَّعة للاستسلام) (ذُكِرَ في المرجع السابق ص 20) (cited ibid., p. 20). ومثل ذلك، يرى بعضهم في الجهود الأمريكية لتدريب نشطاء اللاعنف في مختلف دول العالم نوعًا من التدخل الخارجي وإمبريالية جديدة، منتقدين دور مدربي اللاعنف في التواطؤ مع ما يتصورون أنَّها أجندة إمبريالية لحكومة الولايات المتحدة، في حين يناقش آخرون ما إذا كان من الضروري تدريب (المعارضين) على طرق اللاعنف، ويرى آخرون أيضًا أنَّها فرصة يمكن أن تشكل نقطة تحول لجميع المشاركين، ويرى آخرون أنَّها إشكالية (مارتن 2009 أ؛ جيلدرلوس 2007) .(Martin 2009a; Gelderloos 2007)

الصندوق 1.2 تعريف النجاح في الثورة المصرية

تبين حالة مصر في اليقظة العربية بعض الصعوبة في تعريف (النجاح)؛ ففي 25 كانون الثاني/ يناير من العام 2011، خرج ألوف المحتجين إلى الشوارع في مصر، مستلهمين أحداث تونس؛ للاحتجاج ضد نظام مبارك. في بداية الأمر ردَّ الرئيس مبارك بعنف لقمع الاحتجاجات، وقتل المئات في العمليات العسكرية، إلا أنَّه بحلول 11 فبراير، بدا أنَّ الاحتجاجات قد انتصرت، فقد استقال مبارك بعد ما يقرُب من الثلاثين عامًا من الحكم الاستبدادي، وقام الجيش بحل البرلمان (كانالي 2011) (Kanalley 2011). وفي ظل الحكومة المؤقتة التي عيَّنها المجلس الأعلى للقوات المسلحة، بدأ المصريون رحلة طويلة نحو الديموقراطية، بدأت بالتصويت على الإصلاحات الدستورية (اسوشيتد برس 2013) .(Associated Press 2013)

إلا أنَّ المحتجين الذين نجحوا في حشد أعداد كبيرة من الجماهير، لم يتمكنوا من تنظيم حركة سياسية قادرة على الحياة، ممَّا تمخَّض عن سباق رئاسي بين محمد مرسي مرشح الإخوان المسلمين، وأحمد شفيق آخر من عيَّنه مبارك رئيسًا للوزراء (اسوشيتد برس 2013)، ثم انتُخب مرسي في نهاية الأمر. وفي حين أنَّ الانتخابات نفسها لم تكن موضع خلاف، فإنَّ تحقيق ديموقراطية حقيقية بدا صعب المنال، فحين سعى مرسي لتعزيز سلطته من خلال تصريح له يوم 22 تشرين الثاني/ نوفمبر، جعل جميع قراراته غير قابلة للاعتراض، تحمي الجمعية التأسيسية المكلفة بالإشراف على وضع مسودة دستور جديد، من اعتراضات المحكمة الدستورية العليا، وعزل المدعي العام من منصبه (شبكة التلفزيون الأمريكي 2013). كما حاول مرسي أيضًا عزل بقايا نظام مبارك من الجيش؛

بإجبار كبار القادة العسكريين على الاستقالة، وتعيين الجنرال عبدالفتاح السيسي وزير دفاع في حكومته (المرجع السابق)، وفي هذه الأثناء، انسحب المعارضون من المشاركة في وضع مسودة لدستور جديد احتجاجًا على هيمنة الإسلاميين على مجريات الأحداث كاملة (اسوشيتد برس 2013).

يوم 25 كانون الثاني من العام 2013، خرج مئات الألوف من المصريين مُجدَّدًا في أنحاء مصر كافة، ولكن ضد مرسي هذه المرة، وضد انعدام التنمية الاقتصادية، والتغيير الديموقراطي، ودمج الأقليَّات اجتماعيًّا. وبحلول 30 حزيران/ يونيو بلغت أعداد الجماهير الملايين، وفي 3 تموز/ يوليو قام الجيش بعزل مرسي من منصبه واعتقاله (اسوشيتد برس 2013)، ممَّا قاد إلى زيادة العنف السياسي والطائفي في آب/ أغسطس. وفي بداية العام 2014 استعاد الجيش مكانته البارزة في شؤون الدولة المصرية، ووضع حدًّا للتحوُّل الديموقراطي (بي بي سي 2013).

من وجهة نظر برغماتية، تبين البحوث أنَّه كلما كانت ممارسة الانضباط أكبر داخل حركة اللاعنف، كان حظ الناشطين أكبر في جني التعاطف ردًّا على قمع حركتهم، وزاد احتمال إقناع قوات الأمن على التراجع (زونس وكورتز 1999؛ نبستاد 2011 ب) (Zunes and Kurtz 1999; Nepstad 2011b). ويؤكد شوك (2005، ص.161) Schock (2005, p. 161) أنَّه في حين يمكن للمقاومة المسلحة أن تعطي تشجيعًا رمزيًّا لمن يخوضون مقاومة غير عنيفة، فقد قام بالثورات المسلحة في جنوب أفريقيا وفلسطين - بشكل مستقل إلى حد ما- مَنْ تعرضوا مباشرة للاضطهاد (وليس من خلال قيادة في المنفى). في تلك الحالات لم يعتمد نجاح حركات اللاعنف على (كمية العنف الذي رافقها، بل على القدرة على البقاء صامدين في بيئة قمعية، وزيادة نفوذها مقابل الدولة، سواء عن طريق قطع مصادر دعم الدولة بشكل مباشر، أو حشد دعم مهم من أطراف ثالثة لديها نفوذ في الدولة المستهدفة). ولاحظت بيرلمان أنَّ أعمال اللاعنف في الحركات المطالبة بتقرير المصير تعتمد - بشكل خاص- على درجة تلاحم المجموعة، وأنَّ المجموعات التي تفتقر إلى بنية تنظيمية متماسكة ومرنة قد لا تتمكن من استخدام طرق اللاعنف بشكل متناسق (بيرلمان 2012، 2011) (Pearlman 2012, 2011).

ضرورة وجود هدف مشترك والانضباط في مجال اللاعنف أكدته دراسات أخرى أيضًا، فقد لاحظت نبستاد (2011 أ، ص. 488) Nepstad (2011a, p. 488) «أنَّه في كفاح اللاعنف - حين يتولى المنشقون عن الجيش مهمة الكفاح المسلح ضد الدولة- فإنَّ الجانب اللاعنفي من الصراع سيتبدَّد، وسوف تنزلق الأمة على الأغلب نحو الحرب الأهلية»، وعواقب مثل هذا الانشقاق واضحة في الانزلاق نحو الحرب الأهلية الحاصلة في ليبيا وسوريا غداة الاعتراضات الأولية اللاعنيفة في العام 2011.

المناهج العالمية مقابل النسبية الثقافية

رغم قول بعضهم بأنَّ «أعمال اللاعنف مستقلة عن نُظم الثقافة والمعتقدات» (مكارثي وكروجلر 1993، ص. 4) (McCarthy and Kruegler 1993, p. 4)، فإنَّ هناك آخرين يشيرون إلى أنَّه «ربما يكون هناك ثقافة معينة أو عوامل سيكولوجية كامنة في الفرد، أو ثقافة فرعية، أو ثقافة كلية تُعِدُّه لقبول هذه الفلسفة» (اوبنهايمر 1965، ص. 125) (Oppenheimer 1965, p. 125). والمثال على ذلك ما لاحظه بعض العلماء من أنَّ أعمال اللاعنف ليست فعالة بالنسبة للأقليات المختلفين كثيرًا من الناحية الثقافية، وبشكل خاص في أوضاع انتشار التحيُّز على نطاق واسع، ما يمنعهم من كسب دعم الأغلبية ضد قمع الحكومة (زونس وكورتز 1999، ص 317؛ أوبنهايمر 1965) (Zunes & Kurtz 1999, p. 317; Oppenheimer 1965). على أيِّ حال، تمكن أناس مكونون من تشكيلة من الثقافات المختلفة من شنِّ حملات مقاومة غير عنيفة ناجحة في أنحاء العالم كافة، رغم تأكيد شوك (2005، ص. 3) Schock (2005, p. 3) أنَّ الدراسات ركزت تقليديًّا على الدول (الأكثر تطورًا من الناحية السياسية)، بعكس (الدول متدنية النمو وغير الديموقراطية)، فقد صُوِّرت المقاومة غير العنيفة على أنَّها أداة فعالة - بالنظر إلى التركيبة الصحيحة من العوامل الهيكلية والإستراتيجية- في الأنظمة السلطوية، كما في الديموقراطيات والدول (النامية) (نبستاد 2011 ب؛ زونس وآخرون، 1999) (Nepstad 2011b; Zunes et al., 1999).

ومع ذلك، فإنَّ الثقافة متغير مهم في حملات المقاومة اللاعنيفة، فكثيرًا ما كان على الناشطين مواجهة تحدي الافتراض الزائف بأنَّ نجاح غاندي النسبي يعود إلى جوانب فريدة في الثقافة الهندوسية، أو أنَّ اللاعنف كان إلى حدٍّ ما ظاهرة (غربية) لا يمكن أن تنجح في مناطق مضطربة مثل الشرق الأوسط (كارتر 2009؛ كينج 2007) (Carter 2009; King 2007).

إنَّ حملات اللاعنف الناجحة (التي تتبع ثقافات المقاومة القائمة) (شوك 2003، ص. 710) (Schock 2003, p. 710)، وكذلك الأوضاع والمجتمعات المختلفة، تتطلب مناهج مختلفة في الكفاح غير العنيف، كما حذر آدم روبرتس من أنَّ «أيَّ نهج لا يرى سوى صيغة واحدة للعمل، أو وجهة سياسية واحدة قابلة للتطبيق عالميًّا، يُخاطر بأن يعاني ممَّا يمكن وصفه بأنَّه [مغالطة الكومنترن]، فمن الخطأ التظاهر بأنَّك تعرف أفضل من الآخرين ما يناسب المجتمعات كافة» (روبرتس 2009، ص. 21) (Roberts 2009, p. 21). وهناك تشكيلة من المصادر الثقافية تسهم في حملات اللاعنف، تمتدُّ من الموسيقى والفن والشعارات واختيار نمط الملابس التي قد تستقطب إعجاب جمهور أوسع (براناجان 2003) (Branagan 2003)، إلى (الرابط) الوطني، أو العرقي، أو الديني الذي يربط الحركة ببعضها في المسعى اللاعنيف لتحقيق أهدافها (آش 2009، ص. 379) (Ash 2009, p. 379). ولضمان نجاح حملات اللاعنف يجب أن تستمد جذورها من بنية المجتمع المحلي، وهذه البنية المنظمة هي التي تقرر أيَّ الطرق والاستراتيجيات هي الأكثر فعالية في بيئة معينة (ويرمارك 1974) (Wirmark 1974).

لا تؤثر الثقافة في الاستراتيجيات المختارة لحملات اللاعنف وحسب، فقد يكون بعضها مناسبًا أكثر للقيم المحلية والعادات والهويات، ولكن عملية المقاومة غير العنيفة نفسها قد تحفز وتحول الهويات الجماعية، «وقد تنبَّه [ناشطو اللاعنف] إلى قيمهم المشتركة، وتاريخهم المشترك، وفهمهم الجمعي، وجذورهم السياسية، إضافة إلى الحياة المجتمعية والمصير في مجال عام محدد» (بارتكوفسكي 2013، ص 5، سميثي 2013) (Bartkowski 2013b, p. 5; Smithey 2013)، ويطور الناشطون من خلال أعمال اللاعنف هوية مشتركة،

ويمكن لمثل هذا الجيل من حملة الهوية المشتركة أن يكون عاملًا أساسيًّا في حشد الأفراد للقيام بعمل (ويرمارك 1974) (Wirmark 1974)، ويمكن استخدام الثقافة لإبراز أوجه التشابه بين المحتجين وقوات الأمن؛ لتشجيع الانشقاق وتقويض شرعية النظام، وفي الوقت نفسه، يمكن للأنظمة أن تستخدم الاختلافات الثقافية في تقويض تلك الأعمال، حسب ما حدث حين قررت الحكومة الصينية في العام 1989 جلب جنود من المناطق المحيطة، ممَّن لا يشتركون باللغة أو الهوية مع المحتجين في ميدان تيانانمين (سميثي 2013، نبستاد 2011) (Smithey 2013; Nepstad 2011b).

ويعتقد بعض الناس بأنَّ الاختلافات السيكولوجية قد تدفع بعض المجتمعات إلى الرد على المقاومة اللاعنيفة بطريقة مختلفة عن المجتمعات الأخرى (أوبنهايمر 1965) (Oppenheimer 1965)، والمثال على ذلك قول الحاخام مايكل ليرنر: (إنَّ اضطرابات ما بعد الصدمة لدى المجتمعين الإسرائيلي والفلسطيني ولدت أساليب معينة أعطت نتائج عكسية، مثل المقاطعة واسعة النطاق بسبب رد الفعل الذي تولده، والمتمثل في (التقوقع) وعدم التواصل مع الآخر» (ليرنر 2012) (Lerner 2012)، كما أشارت سعاد الدجاني أيضًا إلى أنَّه غالبًا ما تتقاطع الهويات الدينية والعرقية مع الطبقة والتسلسل الهرمي للسلطة، ممَّا يجعل قرار الناس بطاعة الحكام مسألة لا تتعلق بالخيار الفردي (استشهد بها زونس وكورتز 1999، ص 307) (cited in Zunes and Kurtz 1999, p. 307). على أيِّ حال، «تم في بعض الحالات استخدام حركات اللاعنف الثورية رمزيًّا؛ بوصفها وسيلة لنشر الهوية والتعريف علنًا بالهويات الجماعية المُهمَّشة؛ بهدف تشجيع الحوار أو استغلال الهويات المعروفة لتحسين المشروعية» (سميثي 2013، ص. 35) (Smithey 2013, p. 35)، ومن المهم أن نتذكر أنَّه على الرغم من أنَّ الصيغ الثقافية قد تكون مستقرة نسبيًّا، فإنَّ الثقافة ديناميكية أيضًا، وأنَّ الهويات والإستراتيجيات الجديدة يمكن أن تظهر ردًّا على الظروف والتفاعلات الجديدة، ففي الحملة الجزائرية ضد الحكم الفرنسي - مثلا- ارتدت المرأة الجزائرية المسلمة في بعض الأحيان النقاب على أنَّه رمز لمقاومة النفوذ الاستعماري، بينما ارتدت في أحيان أخرى زيًّا غربيًّا لتنفيذ مهمة سرية بطريقة أفضل. (سميثي 2013) (Smithey 2013).

قياس (النجاح)

ربما أنَّ أحد أكثر المجالات صعوبة في دراسة اللاعنف هو كيفية قياس النجاح، ليس لأنَّ المقياس الزمني للكفاح غير العنيف طويل وحسب، بل أيضًا لأنَّ حملات اللاعنف يمكن أن تكون منهجية بطبيعتها، فغالبًا ما يسعى المحتجون ليس إلى إسقاط زعيم معين وحسب، بل إلى تغيير أوسع في النظام، فقد شكَّك الكثيرون في مدى النجاح الذي حققه غاندي في الهند، بالنظر - مثلًا- إلى تقسيم الهند وباكستان رغم معارضة غاندي واشتباكهما في ما بعد في حرب تسببت في تهجير الآلاف، واستمرار العداء بين البلدين (آش 2009) (Ash 2009). إضافةً إلى ذلك، جادل بعضهم بأنَّ حملة اللاعنف التي خاضها غاندي لم تكن الوحيدة التي قادت إلى استقلال الهند، بل يُضاف إليها التعب الذي أصاب الاستعمار البريطاني بعد حربين عالميتين، والقلق من أن يمتد الصراع المسلح بين العرب واليهود في فلسطين الخاضعة للانتداب إلى الهند (جيلدرلوس 2007) (Gelderloos 2007).

مثل ذلك ما أثاره العلماء والناشطون من أسئلة تتعلق بالتأثير السلبي للاعنف في حركة الحقوق المدنية الأمريكية، ففي حين أنَّ غالبية الحركات لم تكن عنيفة، فإنَّ جناحًا متطرفًا عزَّز جاذبية المعتدلين، ثم تدخلت الحكومة الأمريكية لحماية الناشطين من هجمات البيض المتطرفين (مارتن 2009 أ) (Martin 2009a)، إضافة إلى ذلك لم يحصل الناشطون السود على المساواة السياسية والاقتصادية التامة نتيجة لكفاحهم- وما زالت هذه المعركة مستمرة-، ولم يحقق الساعون إلى التحرر من إمبريالية البيض أهدافهم (جيلدروس 2007، ص.8) (Gelderloos 2007, p. 8)، ولذلك يدعو كل من سبينس وماكلويد (2002، الصفحات 63- 64) Spence & McLeod (2002, pp. 63–4) إلى كفاح دولي طويل لبناء عالم مسالم وعادل ودائم، بالنظر إلى طبيعة العنف الهيكلي الكامنة في النظام الدولي، إلا أنَّ من الصعب قياس مدى نجاح هذا النهج طويل الأمد الموجه نحو المستقبل، رغم أنَّ اللاعنف «يمكن أن يحقق نتائج ملموسة في حقول السياسة والهيكلية إذا ما تم بطريقة منهجية» (سومّي 1993، ص 16) (Summy 1993, p. 16)، كما يمكن لتوجه (مبدئي) أكثر مما هو (برغماتي) لأعمال اللاعنف أن يؤثر في طريقة تعريف النجاح (ويبر 2003، ص 256) Weber (2003, p. 256)، فعلى سبيل

المثال يشار إلى (علمنة) جين شارب لغاندي بتركيزه على تحقيق الأهداف أكثر من التركيز على تحويل النزاع.

لقد أجرى عدد من العلماء دراسات أظهرت نجاح حركات اللاعنف بتفحص ما حققته الحملة من أهداف أو تغييرات في النظام؛ ففي الحالة المبينة في الصندوق (1.2) كانت الحملة المصرية ناجحة في البداية لقدرتها على إسقاط مبارك، رغم مجادلة الآخرين بأنَّ النظام الأعرض بقي في مكانه، وعلامة أخرى على النجاح هي «نقل الولاء من مصدر سلطة وشرعية إلى سلطة وشرعية أخرى» (زونس كورتز 1999، ص.315) (Zunes and Kurtz 1999, p. 315). وتُعرِّف نبستاد (2011) Nepstad (2011b) النجاح بأنَّه التمكن من إسقاط النظام، لكنها تميز عملية هزيمة حاكم سياسي عن عملية بناء نظام ديموقراطي جديد، وهو ما يحذر منه شوك (2005، ص. xxvi) Schock (2005, p. xxvi) بأنَّه ليس أرض ميعاد التنمية السياسية، وتقول نبستاد أيضًا بأنَّ للثورات السياسية أساليب مختلفة عن الثورات الاجتماعية، وأنَّ الأساليب التي تقود إلى تحولات اجتماعية وثقافية واقتصادية شاملة يجب تفحُّصها بشكل منفصل. وبالتغاضي عن أوضاع الاحتلال الأجنبي والنظر فقط إلى دراسات الحالة المتعلقة بإسقاط حكام مستبدين، وجدت نبستاد أنَّ العامل الرئيس للنجاح هو قدرة المحتجين على تقويض قدرة الدولة على فرض العقوبات من خلال تقويض ولاء الجنود، إضافة إلى ذلك، تمتلك حركات اللاعنف الناجحة عقيدة ثورية فاعلة، ومجالًا من الحرية يمكن لمنظمات الحشد والتعبئة بوساطته من توجيه الحركة وتنظيمها، ويمكن لنظام قيادة موحد وذي مصداقية الرد بذكاء وسلطة على الظروف المتغيرة (نبستاد 2011 ب، ص.6) (Nepstad 2011b, p. 6).

في بعض الأحيان، ورغم نجاح الحركات أحيانًا في إسقاط النظام، فإنَّ أساليب ومشكلات جديدة قد تنشأ (زونس وكورتز 1999) (Zunes & Kurtz 1999)، حسب ما اتَّضح من مصر غداة عزل حسني مبارك عن السلطة في العام 2011، إلا أنَّ شينوويث وستيفان (2011) Chenoweth & Stephan (2011) وجدا أنَّ حملات اللاعنف كانت ناجحة في (53 %) من

المرات، مقارنة بنسبة (26 %) من المرات فقط بالنسبة للحملات العنيفة، مع قياس النجاح كعلاقة ما بين الأهداف المحددة والنتائج السياسية، ويجري تشجيع الحركات على تحديد أهدافها بوضوح؛ حيث يمكن لأطراف النزاع كافة أن يفهموا ما الذي يسعون إليه، ولا يساعد هذا على تركيز الطاقات وحسب، بل يساعد أيضًا على قياس مدى النجاح (شوك 2005، ص 164) (Schock 2005, p. 164).

وإذا قاس المرء نجاح اللاعنف بتحقيق الأهداف، فقد تكون النتائج غامضة، فثمة احتمال أن يقيم نجاح الحركة بأثر رجعي وفق معايير لم تكن حاسمة بالنسبة للمشاركين في الحملة في ذلك الحين (آش 2009، ص. 390) (Ash 2009, p. 390). فضلًا عن ذلك، فإنَّه غالبًا ما يكون للحملات أهداف عديدة وتأثيرات متداخلة قد تقود إلى النجاح في بعض الجوانب وليس كلها، ومثال ذلك (أنَّ المشاركة واسعة النطاق في المقاومة اللاعنيفة يمكن أن توسع وتضخم تأثير العمل الجماعي في الهوية الوطنية)، كما حدث في حركة الدفاع عن اللغة البنغالية (سميثي 2013، ص. 41) (Smithey 2013, p. 41)، ويمكن لحملات اللاعنف أن تبدل الرأي العام، كما يحدث حين تتمكن مجموعة أقلية من الحصول على دعم جمهور محايد (أوبنهايمر 1965) (Oppenheimer 1965)، ومثال ذلك، أنَّ مقاومة الفلسطينيين غير المسلحةساعدت - إلى حدٍّ كبير- في الانتفاضة الأولى على تغيير تصور الرأي العام الدولي بأنَّ الفلسطينيين إرهابيون، وأهمية (معركة الأفكار) والصراع حول الشرعية الشعبية تسهم في حملات المقاومة غير العنيفة أيضًا في صعوبات قياس النجاح (بارتكوفسكي 2013، ص 5) (Bartkowski 2013b, p. 5)، ولذلك لا يمكن للمقاومة المدنية وحدها أن تضع أسس مشاركة جماهيرية مُسيَّسة وحسب، بل يمكنها أيضًا تمهيد الطريق أمام «المؤسسات الاقتصادية والمدنية والحكم السياسي الضروري لإدارة البلاد بعد استقلالها، وإن لم يعمل التغيير الديموقراطي في الدول المستقلة حديثًا على تلبية كل ما تطمح إليه» (المرجع السابق، ص 24).

غالبًا ما تشتمل حملات اللاعنف على أساليب عديدة، وتكون في غاية النجاح حين لا يعتمد المحتجون على طريقة عمل واحدة، فالمقاطعة - على سبيل المثال- قد تكون أكثر فاعلية إذا ترافقت مع مظاهرات وعصيان مدني، وحين يتم تنظيمها من أجل مبادرات محلية محددة (كورترايت 2006، ص. 88) (Cortwright 2006, p. 88)، فغالبًا ما تكون أساليب مثل المقاطعة هي الأفضل للضغط وكسب النفوذ في المفاوضات (المرجع السابق، ص 90- 91)، ولذلك يقول بعضهم إنَّه يمكن قياس النجاح بجلب المتخاصمين إلى طاولة المفاوضات، حيث يمكن إيجاد حل مريح للجانبين بدلًا من (إجبار الخصم على الركوع) (سومّي 1993، ص. 19) (Summy 1993, p. 19)، في حين يرى آخرون أنَّ الحوار قد يكون بمثابة استسلام للخصم.

لاحظ شوك (2005، ص 12) Schock (2005, p. 12) أنَّه غالبًا ما تكون هناك معايير متطرفة لقياس نجاح الصراعات اللاعنيفة مقارنة بالصراعات التي تختار العنف، مثل حرب العصابات التي يفترض ألا تكون إستراتيجية عقيمة كليًّا إذا فشلت مرة واحدة، ويميل الناس الذين يُقيِّمون حركات اللاعنف إلى التفكير فيها وكأنَّها (لحظات معزولة) بدلًا من أن تكون عملية طويلة الأمد، وقد يَعُدُّ بعضهم حدوث أي إصابة فشلًا لحركة اللاعنف (ديمنج 1971) (Deming 1971).

إنَّ حركات اللاعنف الأكثر نجاحًا في تعزيز التحول السياسي في الدول غير الديموقراطية هي التي «تبقى صامدة في وجه القمع، وتُقوِّض سلطة الدولة، وتجذب في أحيان كثيرة دعم طرف ثالث» (شوك 2005، ص. xxii) (Schock 2005, p. xxii)، ويشير شوك أيضًا إلى أهمية لا مركزية القيادة التي يقول إنَّها تعزز الديموقراطية، لكنَّها أيضًا تمنع المعارضة من تعطيل الحركة تمامًا إذا ما تم القبض على القائد.

حتى إذا كانت قيادة الحركة لا مركزية، فإنَّها تتطلب «درجة كافية من التنسيق والتجميع» (شوك 2005، ص. 144) (Schock 2005, p. 144)، وهذا يتفق مع ما توصل إليه بارتكوفسكي (2013) ونبستاد (2011) Bartkowski (2013a) & Nepstad (2011b)؛ بضرورة وجود قيادة

شرعية موحدة للقيام بحركة تحرير غير عنيفة ناجحة، وفي دراسة لحالات التحرير التاريخية اللاعنيفة، أضاف بارتكوفسكي (2013، ص 350) Barkowski (2013a, p. 350) الانضباط، والتنظيم الجماعي المكتفي ذاتيًّا، وبناء التحالفات للوحدة والصمود؛ بوصفها عوامل رئيسة للنجاح. وقد أبرزت (نبستاد 2011، ص 132) Nepstad (2011b, p. 132) أهمية التدريب، ولاحظت أنَّه في الثورات الثلاث اللاعنيفة الفاشلة التي درستها، «كانت هناك لحظات أصبح فيها المتظاهرون عدوانيين، وفي بعض الأحيان مشاغبين»، وهو ما يوحي بأنَّ الحركات كانت على الأغلب تميل إلى تشجيع الجنود على الانشقاق حين عادوا إلى التصرف بلا عنف؛ حيث إنَّ التهديدات الخارجية تميل إلى توليد تلاحم بين الجنود ضمن المجموعة.

دور الطرف الثالث في المساهمة بنجاح حركات اللاعنف هو مجال نقاش ضمن هذا الحقل، فقد اتفق كل من شينويث، ونبستاد، وستيفن على أنَّ الدعم الدولي والعقوبات لا تساعد - بالضرورة- العصيان اللاعنفي، ليس لأن الاعتماد على الدعم المالي الخارجي قد ينزع الشرعية عن الحركة، بل لأن الاعتماد على الخارج يضعف الجهود المحلية لبناء حركة جماهيرية (نبستاد 2011،الصفحات 13- 14) (Nepstad 2011b, pp. 13–14)، كما أشار شوك إلى أن تأثير النفوذ الخارجي قد يعتمد على مجموعة عوامل، منها مدى اندماج النظام في المجتمع الدولي، ومدى اعتماده على الدول الأخرى، وطبيعة علاقاته الاقتصادية مع الدول الأخرى، والواقع أن بعضهم يجادل بأنَّ «علاقات الصداقة الدولية بين الأنظمة الاستبدادية والدول الغربية الديموقراطية، تشكل المتغير التفسيري الرئيس للنجاح الأولي لثورات اللاعنف في إيران، وتونس، ومصر» (كوي 2013، ص 262) (Coy 2013, p. 262)، إلا أن بعض الحركات - ولاسيَّما الحركات التي تعمل تحت الاحتلال الأجنبي- تسعى للحصول على دعم طرف ثالث من المجتمع الدولي، مثل الفلسطينيين الذين يدعون إلى مقاطعة إسرائيل، وتعريتها، وفرض العقوبات عليها من أجل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، والمساعدة على موازنة علاقات القوة غير المتكافئة، إضافة إلى معالجة حقيقة أن النظام الحاكم لا ينظر بالضرورة إلى الساعين للتغيير على أن جهودهم مشروعة أو أنهم جزء من كيان سياسي، تَبَعًا لذلك، فإنَّه يمكن للدعم الخارجي أن يقدم المساعدة والموارد الضرورية أو أن يقوِّض مشروعية

حملات المقاومة المدنية، في إيران - على سبيل المثال- ينظر إلى المحتجين الذين لا يمارسون العنف على أنهم عملاء محتملون للولايات المتحدة التي دعت جهرًا «إلى تغيير النظام، وموَّلت أنشطة تهدف إلى تحقيق ذلك، وتَبَعًا لذلك وضعت إيران المقاومة المدنية في حالة من الضعف السياسي والمعنوي». (روبرتس 2009، ص 23) (Roberts 2009, p. 23).

حدود جديدة في دراسة اللاعنف

هناك كثير من الصعوبات القائمة في مجال دراسة اللاعنف، من ضمنها العلاقة بين الدراسات ذات التوجهات العلمية وذات التوجهات العملية، ومن التحديات التي يواجهها العلماء لجعل عملهم في متناول مجتمع السياسيين والممارسين، وضمان ألا تكون دراستهم (غير مرتبة وغير مفهومة للناشطين وصناع السياسة) من أجل تحسين السياسات الأجنبية والمحلية، إلا أنه في الوقت نفسه ينتاب بعض العلماء والممارسين القلق حول مدى اهتمام صُنَّاع السياسة ببحوثهم، وذلك بالنظر إلى أنه يمكن استخدامها لضم إستراتيجية اللاعنف إلى أهدافهم (مارتن 2005، ص 248) (Martin 2005, p. 248).

ويشكك بعض العلماء في ما إذا كان خيار اللاعنف سيتم تبنِّيه على نطاق واسع، رغم تزايد إشارة الأدبيات إلى فاعليته، ويؤكد أحدهم أن «الاعتماد على العنف، والتهديد والإكراه يتغلغل عميقًا في الثقافات المعاصرة». (ماتايني 2003، ص 162) (Mattaini 2003, p. 162). وقد جرى تطبيع العنف بوصفه **سلوكًا بشريًّا ملائمًا** في وسائل الإعلام والأحاديث الشخصية والدولية الدارجة (ساثا- أناند 2002، ص. 9) (Satha-Anand 2002, p. 9)، فعلى سبيل المثال يقول مارتن (2002، ص 7) Martin (2002, p. 7): «ربما أن جاذبية العنف لا علاقة لها بفاعليته المؤكدة أو المحتملة، بل بكونه تعبيرًا رمزيًّا عن فحولة ذكورية أو ارتباط بالسرية، والتسلسل الهرمي وسياسات الإقصاء»، وحين تختار الحركات وسائل اللاعنف أيضًا فإن تلك الوسائل **لا تكون خالية من الغموض**؛ بسبب حقيقة أن الأدوات غير الحادة - مثل المقاطعة والعقوبات اللاعنيفة الأخرى- هي إجراءات قسرية يمكن أن تسبب الأذى للأبرياء إضافة

إلى الخصوم (كورترايت 2006، ص 27) (Cortwright 2006, p. 27)، ويقول جالتونج (1965، ص 229) (Galtung (1965, p. 229 بأن المقاطعة الاقتصادية التي تغطي متطلبات العيش يجب أن تُعَدَّ عُنفًا، وقد يكون لإضراب ينفذه العاملون في مستشفى عواقب مؤذية إن لم تُتَّخذ بعض الترتيبات للعناية بالمرضى (روبرتس 2009) (Roberts 2009)، وفي بعض الأحيان – ولو نجحت إحدى الحركات في إسقاط نظام ما– فقد يظهر ديكتاتوريون جدد، وهذا ما حدث غداة الثورة الإيرانية (1978– 1979) التي استبدلت الشاه بآية الله خميني (زونس وكورتز 1999) (Zunes & Kurtz 1999)، باختصار «أعمال اللاعنف ليست ترياقًا، وليست فعالة دائمًا في تعزيز التغيير السياسي». (شوك 2005، ص 23) (Schock 2005, p. 23).

تشكل المصطلحات – حسب ما أشرنا سابقًا– تحديًا للدارسين والناشطين، ووصف حركات اللاعنف المناهضة بأنها (ثورات) يشير ضمنًا إلى العنف، ومثل هذا فهناك مسألة العلاقة بين اللاعنف الذي غالبًا ما يعرف بأنه عمل خارج القنوات المؤسسية العادية للسياسة، والانتخابات والمفاوضات (آش 2009، ص. 376) (Ash 2009, p. 376). وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون للمقاطعة واسعة النطاق للانتخابات تأثير قوي في تقويض الشرعية المفترضة للنظام، وقد توفر المفاوضات طريقة لتحقيق أهداف الحركة.

ثمة صعوبة تتعلق بالسؤال السابق حول دعم الطرف الثالث؛ إذ يتناول مسألة: متى يكون التدخل غير العسكري مشروعًا أو غير مشروع؟ بالضبط كما تناول حقل العلوم الإنسانية في الحوار مسألة: متى يكون التدخل الإنساني مشروعًا ومُسوَّغًا؟ فيجب فعل ما هو أكثر من ذلك لكشف متى وكيف تكون التأثيرات الآتية من خلال الحدود – ابتداءً من التأييد من خارج الوطن إلى جمع الأموال، والتدريب، ونقل المعارف الأخرى– مناسبة وفاعلة (آش 2009، ص. 387) (Ash 2009, p. 387)، ولهذه الأسئلة وزن أخلاقي مهم بالنظر للوضع غير المتساوي للناشطين في أجزاء مختلفة من النظام العالمي، بغض النظر عمَّا إذا كان المرء يتعامل مع حركات ذات صلة بالديموقراطية، أو العدالة الاقتصادية، أو حقوق الإنسان، أو البيئة، أو النوع الاجتماعي، فكما قال جوتليب (2011، ص 42) (Gottlieb (2011, p. 42: «ليس في وسع

الذين يتمتعون بامتيازات اقتصادية، وروحية، وسياسية في شبكة من العلاقات إيجاد حل من تلقاء أنفسهم، يجب عليهم أن يعتمدوا على رؤية مَنْ يعانون أوجاع الظلم الممنهج لتوضيح الطريق أمامهم». وفي الوقت نفسه - بالنسبة لسيادة المؤسسات العابرة للحدود في عالم يتبع العولمة- فإنه حتى حين ينجح الأطراف في تحقيق أهدافهم على مستوى الدولة، فإن لدى الفعاليات الدولية القدرة على إحباط إجراء الدولة، كما حدث في العام (1997) حين أجبرت الولايات المتحدة وصندوق النقد الدولي نيكاراجوا على تنفيذ خطة تقشف كانت تواجه مقاومة واسعة، أو اعتمد المانحون الانتخابات الكينية غير العادلة؛ لأن دانيال أرب موي أذعن للحد الأدنى من طلباتهم (زونس وكورتز 1999، ص 230؛ نبستاد 2011) (Zunes & Kurtz 1999, p. 320; Nepstad 2011b).

ويمثل تزايد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ضمن الشبكات المحلية والدولية مجالًا آخر بحاجة لمزيد من البحث، فرغم الاعتراف على نطاق واسع بفاعلية مواقع [فيسبوك وتويتر ويوتيوب] في الانتفاضات الحديثة، إلا أنه لم يزل هناك المزيد ممَّا ينبغي عمله حول كيفية استغلال تلك الأدوات في المراحل المختلفة من صراعات اللاعنف. وحسب ما أشرنا في الفصل السادس يمكن للأنظمة القمعية اختطاف وسائل الاتصال الاجتماعية؛ لأن هذه الأدوات لا تكون فاعلة إلا إذا استخدمها الناشطون إستراتيجيًّا، إضافة إلى ذلك فقد أشار بعض الناشطين إلى أن وجود العديد من مشجعي فيسبوك ومتابعي تويتر لا يعني بالضرورة أن جميع هؤلاء الناس سيتم تنظيمهم للعمل، فأَنْ تنقر على زر على الشاشة أو الهاتف أسهل بكثير من أن تشارك في احتجاج عام أو تقف أمام جرَّافة.

ثمَّة تحدٍّ آخر مُلِحٌّ يتعلق بالطريقة الأفضل التي يمكن للمجتمع الدولي أن يدعم بها حركات اللاعنف في مجتمعاته، ورغم قيام عدد من جهود اللاعنف ضد نظام بشار الأسد في المراحل الأولى من احتجاجات العام 2011 في سوريا، إلا أن تغطية وسائل الإعلام الدولية ركزت على الجماعات التي انخرطت في الكفاح المسلح ضد النظام (بارتكوفسكي وكهف 2013، ديزي 2012، خلق 2013، زهور 2013) (Bartkowski & Kahf 2013; Deasy 2012;

(Khalek 2013; Zouhour 2013)، ورغم ذلك فإن التغطية الدولية ودعم جهود اللاعنف قد تعطي في بعض الأحيان نتائج عكسية، وبوجه خاص حين يصبح من المحتمل أن يقوم النظام باستهداف الناشطين، أو ينظر إليهم على أنهم عملاء أجانب يشاركون في جهود قلب نظام الحكم بدعم من الخارج.

وفي وضع من الحرب الأهلية المستمرة في سوريا، حيث بلغ عدد من قتلوا حتى آب/ أغسطس 2014 أكثر من 160 ألف قتيل، وأصبح مئات الآلاف لاجئين في الدول المجاورة، هناك الكثير من الشكوك حول ما إذا كانت المقاومة اللاعنيفة أمرًا ساذجًا وغير عملي (هاشمي 2013، زهور 2013) (Hashemi 2013; Zouhour 2013)، فكثيرًا ما أحاطت أمثال هذه النقاشات بدراسات اللاعنف، وهو ما يتَّضح من الحجة القائلة بأنه قد تكون هناك «أوضاع من النزاع المحض حيث العنف ضروري لإنهاء استعمار مستغل، أو نظام مستبد، أو حركات ثورية لها ما يبررها» (سميث 1976، ص. 124) (Smith 1976, p. 124)، ويواصل آخرون الدفاع عن إجراءات اللاعنف قائلين بأنَّها توفر أفضل فرصة للنجاح والاستقرار بعد انتهاء النزاع. وبناءً على ما ناقشناه في وقت سابق من هذا الفصل، فقد تبع النجاح الأولي للاحتجاجات في تونس ومصر صعوبات في التحول إلى الحكم الديموقراطي؛ بالاغتيالات السياسية في تونس، والانقلاب العسكري ضد الرئيس المنتخب في مصر، وتَبَعًا لما سيناقشه بارتكوفسكي في الفصل الثامن، فهناك الكثير من التحديات التي تواجه الناشطين المشاركين في المقاومة اللاعنيفة ضد الحكام المستبدين، ورغم ذلك تبقى المقاومة اللاعنيفة وسيلة أكثر فاعلية في الصراع السياسي، وبوجه خاص في الحالات غير المتكافئة.

تبحث الفصول التالية (الملامح) العامة ومجال سياقات حركات اللاعنف، كاشفة الأسباب المبدئية والبرغماتية للانخراط في كفاح غير عنيف، فتداعيات الانتفاضات العربية ما زالت تتكشَّف، ولهذا فإن فهمنا لمسار ثورات اللاعنف سيواصل التطور أيضًا. ومن هنا فإنَّ مؤلفتا هذا المجلد تسعيان لشرح بعض التحديات والفرص التي تواجه المشاركين في أعمال اللاعنف، وتثيران أيضًا أسئلة من أجل مزيد من الدراسة.

أسئلة للمناقشة

1. ما العوامل التاريخية التي شكلت ظهور اللاعنف بوصفه مجالًا للدراسة؟
2. ما العلاقة التي كانت قائمة بين العنف واللاعنف في السعي من أجل تغيير اجتماعي- سياسي؟
3. هل ينجح اللاعنف فقط في بيئات ثقافية معينة؟
4. ما النقاشات الرئيسة في مجال دراسات اللاعنف؟

اقتراحات لمزيد من القراءة والبحث

- كينج، مارتن لوثر، الابن، (2000) King, Martin Luther, Jr. (2000) لماذا لا نستطيع الانتظار. نيويورك: سيجنت كلاسيكس New York: Signet Classics.
- شارب، جين (1979) غاندي Sharp, Gene (1979) Gandhi كإستراتيجي سياسي بوسطن: بورتر سارجنت Porter Sargent.